مكتبة دير السيدة العذراء مريم
(السريان)

معجزة نقل جبل المقطم

طبعة خامسة مزيدة منقحة

بقلم المتنيح القمص أرمانيوس البرماوى السريانى

تقديم

نيافة الأنبا متاؤس

أسقف ورئيس دير السريان العامر

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

تقديم

حدثت هذه المعجزة الجبارة في القرن العاشر الميلادي في زمن بطريركية البابا القديس أبرآم بن زرعة (٩٦٧ - ٩٧٠) وبمساعدة وتشجيع القديسة الطاهرة العذراء مريم أم الكنيسة وشفيعتها التي ظهرت للبابا القديس وهو يصلى في كنيستها المعروفة بالكنيسة المعلقة بمصر القديمة ودلته على رجل مغمور اسمه سمعان الخراز، وذلك في نهاية ثلاثة أيام صوم وصلوات متواصلة من البابا ومعه الكنيسة كلها من أجل هذا الموضوع.

ذهب البابا ومعه سمعان الخراز (الدباغ) وبعض الأساقفة والكهنة والرهبان والشعب إلى المعز وأبدوا استعدادهم لتنفيذ أوامره بنقل جبل المقطم، فذهب

معهم المعز وبعض رجال الدولة والجيش لكي يروا ما يحدث.

ولما وصلوا صلى البابا البطريرك ومن معه وسجدوا وكانوا يرددون عبارة كيرياليسون (يارب ارحم) فبدأ الجبل يتحرك، ينزل إذا سجدوا ويصعد إذا قاموا ويتحرك أمامهم فوقع الخوف في قلوب الحاضرين وتقدم الخليفة إلى البابا وقال له (أمان يا بابا) ونزل الجميع من على الجبل وهم في اندهاش عظيم، وأحب الخليفة البابا أكثر وتوطدت العلاقة بينهما وسمح له ببناء وترميم كنائس كثيرة في أنحاء مصر.

وقام البابا بإضافة الثلاثة أيام التي صاموها إلى فترة صوم الميلاد كتذكار دائم لهذه المعجزة العظيمة وأصبح صوم الميلاد ٤٣ يوماً بدلاً من ٤٠.

قام بجمع مادة هذا الكتاب **القمص أرمانيوس البرماوى السرياني المتنيح سنة ١٩٣٩ م** وتم نشره ثلاث مرات في ٣٧، ٤٦، ٥٤.

والآن يقوم **دير السريان**، الذي ترهب فيه القمص أرمانيوس، بنشر هذا الكتاب للمرة الخامسة بشيء من التصرف. بعد أن أعاد طبعه للمرة الرابعة في سنة١٩٩٩ م طالبين من الرب أن يكون سبب بركة لكل قارئيه.

بشفاعة أمنا العذراء القديسة مريم والبابا القديس أبرآم بن زرعة والقديس سمعان الخراز وبصلوات أبينا المكرم البابا الأنبا شنوده الثالث.

ونعمة الرب تشملنا جميعاً آمين

الأنبا متاؤس

أسقف دير السريان العامر

صوم الميلاد المجيد ٢٠٠٦ م

القمص أرمانيوس حبشى البرماوى السريانى

ولد بقرية بيرما بجوار طنطا محافظة الغربية حوالي سنة ١٨٩٠ م وترهب بدير السريان عام ١٩١٥ م. قام بتعليم اللغة القبطية في جمعية الإرشاد بطنطا - خدم في كنائس الإسكندرية ثم عين وكيلاً لمطرانية بنى سويف - اشتغل في مراجعة السنكسار مع المؤرخ جرجس فيلوثاؤس عوض - له **كتاب ترويض الأذهان في بستان الرهبان** (١٩٣٠) وهو عبارة عن مقتطفات من كتاب بستان الرهبان. حقق تفسير كتاب ابن كاتب قيصر لسفر الرؤيا (١٩٣٦) وله **هذا الكتاب أعجوبة نقل جبل المقطم** وله أيضاً عدد من المقالات المنشورة في مجلة المحبة في الثلاثينيات.

تنيح في ٢٢ أبيب ١٦٥٥ للشهداء ٢٩ يوليو ١٩٣٩ للميلاد.

نفعنا الله ببركة صلواته آمين

تمهيد

قال الرب (ادعني في يوم الضيق أنقذك فتمجدني) مز ٥٠: ١٥، وقال السيد المسيح له المجد (لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم) مت ١٧: ٢٠.

مرت على الكنيسة القبطية أوقات ضيقات عصيبة خرجت منها جميعها مرفوعة الرأس بفضل قوة إيمان أبطالها وصدق يقينهم، أولئك الذين وقفوا أمام أعدائها وقفة الأسد يدافعون ببسالة وشجاعة وثبات، ويدفعون عنها عوادي الزمن وجور الظالمين، وإذا عددنا الملمات التي حلت بالكنيسة القبطية وما أبلاه رجالها في دفعها لضاقت بها هذه العجالة، ولكنا نجترىء بما هو أقرب عهداً، وأشيع ذكراً. من ذلك:

١ - إن زهرى ابنة محمد على باشا زوجة أحمد بك الدفتردار كان قد اعتراها مرض حار فيه نطس الأطباء ولم ينجح فيه طب ولا دواء، لأنه لم يكن مرضاً طبيعياً. وكان صيت الأنبا صرابامون أسقف المنوفية قد بلغ نواحي القطر المصري بما أُعطى من موهبة إخراج الشياطين وقد أوصل بعضهم ذلك إلى محمد على باشا قائلاً: إن في إمكان أئمة النصارى شفاء هذا المرض. فدعا للحال الأب البطريرك لمباشرة ذلك، فالأب إذ كان يعلم أن ابنة الباشا معتراة بروح نجس فقد استدعى الأنبا صرابامون وأمره بالتوجه إلى السراى حيث تسكن زهرى باشا، فلبى دعوته وتوجه إليها. وكانت السراي غاصة بالجنود والجماهير رجالاً ونساءً، وعندما ابتدأ بالصلاة على الأميرة تحرك الشيطان فيها وألقاها على الأرض، فأزبدت وأخذت تصرخ بأصوات

ارتجت لها السراي. فارتعب الأب من ذلك وخاف سوء العاقبة. وصار يستغيث بقوة السيد المسيح ذارفاً العبرات قائلاً: (عظيمة خطيئتك يا صليب) (١) ثم رفع عينيه إلى العلاء وصرخ قائلاً: يا يسوع مجد يمينك وانصر كنيستك وبعد أن فرغ من الصلاة رسم علامة الصليب على ماء وضرب به وجه الأميرة. فصرخ الشيطان بصوت مزعج وخرج منها. وللحال تعافت الأميرة وجلست بين الجالسين على غاية ما يكون من الهدوء. وعزفت الموسيقى فرحاً وبُشر محمد على بذلك. فأسرع إليها وإذ وجدها قد شُفيت أراد مكافأة الأنبا صرابامون على ذلك فقدم له صرة فيها أربعة آلاف جنيه. فاعتذر عن قبولها بقوله: ليس من شئون وظيفتي أن أربح

(١) اسمه السابق قبل الرهبنة.

بمواهب الرب ما لا يحوجني إليه، فلباسي كما ترى فروجية صوف أحمر، وطعامي الخبز وطبيخ العدس. وعوض ذلك إني أسأل دولتكم أن تميلوا بتعطفاتكم نحو أبناء الطائفة القبطية وتخدموا بنيها المرفوتين. فأجابه إلى ذلك ثم ألح عليه أن يقبل تلك العطية، فأخذ منها قليلاً وزعه أثناء مروره على العساكر.

٢ - وحدث أيضاً أن النيل لم يف في إحدى السنين مقداره فخاف الناس أن تجف الأرض فيعم الغلاء ويفتك بهم الجوع وهرعوا إلى الباشا محمد على طالبين أن يأمر الرؤساء الروحانيين أن يرفعوا الأدعية والصلوات عسى الله أن يتراءف على الجميع ويبارك في ماء النيل فتروى الأرض. ففعل وصلى جميع الطوائف، فلم يزدد الماء شيئاً. وأخيراً تقدم الأب البطريرك الأنبا بطرس الجاولي ولفيف إكليروسه يتبعه عدد عظيم من شعبه

وأراخنته واحتفل بتقديم سر الإفخارستيا ثم غسل الأواني وطرح ماءها مع قربانة في النهر. فعجت للحال أمواجه واضطربت وفارت كدست يغلى وفاضت. فبادر تلاميذ البطريرك برفع أدوات الاحتفال. ولم يكادوا ينتهوا من ذلك حتى أدركتهم المياه. فعظمت منزلة البطريرك وطائفته لدى الباشا وزاد في اعتبارهم.

٣ - ومن ذلك أيضاً ما شاع على ألسنة العامة وذاع أن إبراهيم باشا عندما فتح الديار الشامية وملك أورشليم سنة ١٨٣٢ م دعا الأب البطريرك الأنبا بطرس ليباشر خدمة خروج النور من قبر السيد المسيح له المجد. كما يفعل بطاركة الروم كل سنة ورأى البطريرك أن ذلك يوجد عداوة بين الأقباط والروم فاعتذر للباشا الذي قبل عذره وطلب إليه أن يكون مع بطريرك الروم ويكون هو ثالثهم داخل القبر. وكان الباشا

مرتاباً في حقيقة النور وخاف البطريرك أن يمتنع ظهور النور أو يتأخر فتسوء العاقبة. ولذلك أخذ يستغيث بقدرة السيد المسيح . وكانت كنيسة القيامة قد غصت بالجماهير. وتضايق الناس من الازدحام. فأمر الباشا بإخراج الفقراء إلى خارج كنيسة القيامة حيث فسحة كبيرة ودخل القبر مع بطريركي الروم والقبط. ولما جاء الوقت انبثق النور من القبر بطريقة ارتعب منها الباشا ودهش منذهلاً، وصرخ مردداً **أمان بابا** وكاد يسقط على الأرض لولا أن احتضنه البابا بطرس إلى أن أفاق. أما الفقراء التعساء الذين كانوا خارج كنيسة القيامة فصاروا أسعد حظاً ممن كان داخلها، فإن أحد أعمدة باب كنيسة القيامة الغربي قد انشق وخرج لهم منه النور فتباركوا منه.

اقتصرنا على هذه الحوادث القريبة التي تدل على أن الله مع كنيسته فلن تتزعزع. أما إذا رجعنا بتاريخ كنيستنا إلى الخلف فإننا نقرأ بالفخر والإعجاب كيف أنقذ الله كنيسته المجيدة بواسطة رجالها الأماجد الأبرار في كثير من الضيقات التي تشيب من هولها الولدان. وتندك منها الرواسي. ولذا نجد تاريخهم مسطراً بحروف من نور على صفحات الخلود. يتناوله الخلف فيتمثل حياتهم المليئة بالطهر والعلم والجهاد في سبيل الحق إلى حد التضحية وبذل النفس دفاعاً عن كنيستهم التي اؤتمنوا عليها.

كتبنا هذا توطئة لما سنذكره عن ذلك الحدث الذي لولا عناية الله بكنيسته وتقوى وفضل رعاتها لساءت العقبى ولنالها من الأحزان المريرة ما لم يعلم مقدارها إلا الله وحده. ذلك الحادث هو **نقل جبل المقطم** على يد الأب الجليل الأنبا أبرآم البطريرك الثاني والستين من باباوات الكرازة المرقسية. وقبل أن نورد

هذا الخبر نضع أمام القراء فكرة وجيزة عن ماهية المعجزة، وإمكان حدوثها، وعدم إطلاقها. فنتكلم عن ذلك - بوجه عام - من ناحيتي الإيمان والتاريخ فنقول:

أولاً : من ناحية الإيمان :

قال العلامة الأجل الشيخ الصفي ابن العسال **(الآية أو المعجزة أو الأعجوبة هي وقوع الفعل على غير مقتضى الطبع والعادة).**

وهذا هو التعبير البديع عن ماهية المعجزة وكفاها من اسمها أن العقل يعجز عن إدراك كنهها لأنها من أعمال القدرة الإلهية، وإنا نجد أن **الأمور الإلهية ممتنعة على البرهان** (ابن العسال). ولنا في بعض الحوادث التي وردت في الكتاب المقدس وكان وقوعها مخالفاً للطبع والعادة ما نأخذه دليلاً صادقاً على إمكانية حدوث معجزة نقل جبل المقطم وغيرها من سابق ولاحق:

١ - حادثة عبور الإسرائيليين البحر الأحمر. وكيف أنه لما تعقبهم فرعون بجيوشه مد موسى يده على البحر بأمر الرب فانحسرت المياه عن الأرض وسار الإسرائيليون على أرض يابسة. ولما همّ المصريون باللحاق بهم رجعت المياه إلى مجاريها وغطت مركبات وفرسان جيش فرعون الذي دخل وراءهم في البحر. أما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم.

٢ - لما اجتمع ملوك الأموريين لمحاربة يشوع كلمه الرب بألا يخافهم وهزمهم أمامه. وهنا نرى العجب بل نرى ما يغاير الطبيعة ويخالف العادة. وذلك أن يشوع قال أمام عيون إسرائيل: يا شمس دومي على جبعون، ويا قمر على وادي أيلون. فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه. (يش ١٠: ١٢، ١٣).

٣ - لما عصى الثلاثة فتية أمر نبوخذنصر بالسجود لتمثاله أمر بطرحهم في أتون النار. وهنا أيضاً نعجب لأن النار التي أحرقت الرجال الذين رموهم في الأتون قد تحولت إلى ندى بارد وكان الفتية يسيرون في وسطها كمن يتمشون بين الخمائل، يتساقط عليهم ندى السحر وتهب عليهم نسمات الصباح (دانيال ٣).

هذا ما أردنا تسطيره لتبيان ماهية المعجزة. وما دل على إمكانية وقوعها من الحوادث التي ذكرناها من ناحية الإيمان.

ثانياً : من الناحية التاريخية :

فإن الواصل إلينا من أخبار الشهداء الأبطال الذين جادوا بدمائهم في سبيل المحافظة على إيمانهم، وما حاق بهم من أنواع العذابات التي لا يمكن للعقل البشرى أن يتصور كيف احتملوها. وكيف صبروا على الحرق والبتر والتقطيع، ومع هذا كانوا يخرجون منها أصحاء

حتى تنتهي بقطع رؤوسهم. كل هذا خير كفيل بإقناعنا أن الإيمان والتاريخ يدعوانا إلى التصديق بهذه المعجزات.

أما عن عدم إطلاقها فقد قال عن ذلك العلامة الصفي ابن العسال : إن السيد المسيح قال إن الآيات تتبع المؤمنين باسمي . وما قال كل المؤمنين، وأيضاً ولا في زمان وجود الأنبياء والرسل وظهور المسيح كان كل إنسان يعمل الآيات أو يشاهدها أو يسمع بها ولو كانت في كل الناس أو أكثرهم لما عرف النبي من غيره.

والآن نقدم للقراء ما مهدنا له بهذا البيان فنقول:

معجزة نقل جبل المقطم

لما شغر الكرسي المرقسي بنياحة الأب القديس الأنبا مينا البابا الحادي والستين اجتمع أساقفة الوجهين القبلي والبحري وكتاب مصر وكهنة الإسكندرية، ومكثوا أياماً يتداولون الآراء في مَن يصلح لهذه الخدمة السامية.

وكان بمصر تاجر سريانى اسمه أبراهام بن زرعة، كريم الأخلاق طيب المعشر كثير الرحمة على الأرامل والمساكين. شيخاً في سنه ذا لحية نازلة على صدره. وكان على صلة طيبة مع الملك المعز ورجال الدولة. كما كان محترماً من جميع أراخنة مصر لسمو أخلاقه وجميل خصاله ونبيل صفاته.

وحدث أن كان الشعب مجتمعاً مع الأساقفة والكهنة في كنيسة الشهيدين سرجيوس وواخس في يوم عيد، ودخل أبراهام المذكور ليصلى مع المصلين،

فمال أرخن على أحد الأساقفة وقال له أنتم تطلبون مَن يصلح للبطريركية، وها هوذا الذي يستحقها قد أرسله الله لنا، وأشار إلى أبراهام، وأعلن الأسقف هذا الرأي لمن يجاوره من الأساقفة، سرى هذا القول كالبرق بين المجتمعين من أساقفة وكهنة وشعب. وقد قابله الجميع بالارتياح التام وأعلنوا رضاهم عن ذلك، وحينئذ أشار إلى أبراهام أحد أصدقائه كأنه يريد أن يسر إليه بكلمة، وإذ اقترب منه، وصار في وسطهم، صاحوا جميعاً هذا هو الذي اختاره الرب بطريركاً، وقبضوا عليه وقيدوه بالحديد وهو يبكى ويصيح قائلاً: لست أهلاً لهذه الرتبة الجليلة ولا أستحقها. ولكنهم لم يعبأوا بكلامه ولا بأعذاره لعلمهم بطهارة سيرته وفضائله الجمة وساروا به إلى الإسكندرية وهناك رسموه بطريركاً.

فرحبت الكنيسة بهذا الحبر الرحوم الذي لم يكد يجلس على الكرسي المرقسي حتى وزع كل ماله على

الفقراء والمحتاجين. وبدأ بإبطال العادات الرديئة، ومنع وحرم كل من يأخذ رشوة من أحد لتقدمته بالكنيسة، كما حرم على الشعب اتخاذ السراري، وشدد في ذلك كثيراً. فلما سمع بذلك المتسرون استيقظ فيهم خوف الله وخافوا أيضاً من حرمه. فأطلقوا سبيل سراريهم وذهبوا إليه تائبين على يديه، ما عدا رجلاً من سراة الدولة ذي جاه عريض. فإنه لم يخف الله ولا حرم هذا الأب الذي وعظه كثيراً وأطال أناته عليه، فلم يرتدع ولم يخش الله، ومع هذا لم يتخل الأب عن تعليمه وإصلاحه، بل قد اتضع كالمسيح خالقه وذهب إلى داره. فلما سمع الرجل بقدوم الأب إليه، أغلق بيته دونه، فلبث الأب مقدار ساعتين أمامه يقرعه، فلم يفتح له، ولما تحقق أن هذا المسكين قد فصل نفسه بنفسه من رعية المسيح، وأصبح بجملته عضواً فاسداً، رأى أنه من الصواب قطعه من جسم الكنيسة حتى لا يفسد بقية الأعضاء، فحزن قائلاً : إن دمه على رأسه.

ثم نفض غبار نعله على عتبة بابه، وكانت من الحجر الصوان، فأظهر الله آيته في تلك الساعة أمام أعين الحاضرين، إذ انشقت عتبة الدار إلى نصفين، وبعد ذلك أظهر الله فيه قدرته حيث أفقره حتى لم يبق معه درهم واحد، وطُرد من خدمته مهاناً، وابتلى جسمه بأمراض صعبة، ومات شر ميتة، وصار عبرة لمن يعتبر.

وهنا نأتي على مقدمات تلك التجربة التي حولها الله إلى خير عظيم على كنيسته وشعبه المبارك، وذلك أنه في زمان هذا الأب كان للمعز وزير اسمه يعقوب بن كلس، كان يهودياً وأسلم. وكان له صديق من جنسه اسمه موسى، وقد نال موسى هذا حظوة لدى المعز لصداقته لوزيره، ولأنه كثيراً ما كان يدخل إلى المعز (مع الوزير) ويتحدث معه ويرى تقرب البطريرك من المعز الذي كان يدعوه في أغلب الأوقات ويستشيره في كثير من شئون الدولة. فقد حسده على

ذلك ودفعه الحسد إلى تدبير حيلة للإيقاع بالبطريرك وبالنصارى، فطلب من المعز أن يستحضر البطريرك ليجادله في أمر دينه في مواجهة الملك. ودعا المعز البطريرك وأعلمه برغبة ذلك اليهودي، ولأن المعز كان يعطف على البطريرك ويجله لم يرد أن يوجده مع اليهودي في مجادلة وقال له : ادع أحد أولادك ليجادله.

وكان يعاصر الأب البطريرك راهب فاضل وعالم جليل ومؤرخ عظيم هو الأنبا ساويرس المعروف بابن المقفع أسقف الأشمونيين، ولهذا الأسقف جملة مؤلفات تشهد له بطول الباع وقوة الحجة ومتانة البرهان، نذكر منها :

١ - **تاريخ البطاركة** :جمع أخباره من ديري أبو مقار ونهيا مترجماً إياها من القبطية إلى العربية. قال المرحوم العلامة بطلر : وكتاب ساويرس عظيم الفائدة فيما يتعلق بتاريخ

الكنيسة. وقال أيضاً : إنه توجد من هذا الكتاب ثلاثة نسخ. إحداها في المتحف البريطاني والثانية في المكتبة الأهلية بباريس والثالثة في حيازة سعادة مرقس باشا سميكة. قلت وتوجد نسخة رابعة بدير القديس الأنبا بيشوى وهى أقدم من غيرها بكثير، كما توجد منه نسخة خامسة بالمكتبة الملكية يتلوها تزييل عليها في سير البطاركة. وقد حصلت عليها دار الكتب مأخوذة بالفتوغرافية (٢). وقد طبعه افاتس بالعربية والإنجليزية.

٢ - **تاريخ المجامع في أربعة أبواب.**

٣ - **كتاب البيان المختصر في الإيمان.**

٤ - **كتاب الإتحاد** (عن إتحاد طبيعتي المسيح - في أربعة أبواب).

---

(٢) محفوظة بدار الكتب برقم ٦٤٣٤.

٥ - **الاستبصار** : مبادىء لاهوتية مختصرة.

٦ - **كتاب طب الغم وشفاء الحزن.**

٧ - **الإيضاح:** وقد طبعه المرحوم مرقس جرجس بإشراف العالم الجليل صاحب مجلة صهيون الذي وضع له اسماً جديداً **الدر الثمين في إيضاح الدين.**

وله غير ذلك جملة مؤلفات لم أقف إلا على أسمائها، وهو ما يؤسف له (٣).

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

(٣) ويقول عنه تاريخ البطاركة المخطوط لأسقف فوه : الرجل العالم الفاضل أنبا ساويرس أسقف الأشمونيين المعروف بابن المقفع وهو الذي صنف عشرين كتاباً غير ميامر وتفاسير منها كتاب التوحيد، وكتاب الإتحاد، وكتاب الشرح والتفصيل، وكتاب الاستيضاح، وكتاب إيضاح الإتحاد، وغير ذلك.

وحضر البطريرك ومعه الأنبا ساويرس إلى مجلس الملك ووجدا الوزير يعقوب وصديقه موسى اليهوديين جالسين في الحضرة الملكية. فجلس البطريرك والأسقف ساكتين. فقال لهما المعز : ما بالكما صامتين؟ فأجاب الأسقف : كيف نجادل في مجلس أمير المؤمنين مَن الثور أعقل منه ؟ فاستشاط اليهودي غضباً وقال : إنك بهذا تنعتني بالجهل. فقال له الأسقف ليس في الجدل غضب. وإذا ظهر الحق لأمير المؤمنين هل يكون هناك غضب ؟ فقال المعز : لا غضب في الجدال. ولكل منكما أن يقول ما عنده. قال اليهودي بين لي ذلك. فأجابه الأسقف كتابك يبين جهلك، فقد شهد عليك نبي جليل عند الله. قال اليهودى : من هو ؟ قال الأسقف هو إشعياء فصيح الأنبياء الذي قال في أول كتابه : **(الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه. أما إسرائيل فلا يعرف)** إشعياء ١ : ٣. فقال المعز لليهودي : أهذا ما هو

مكتوب في كتابكم ؟ أجاب نعم. فقال للأسقف : إذاً لا يجوز في حضرة أمير المؤمنين مجادلة مَـن كانـت البهائم أعقل منه. ولكن الأسقف نزل على إرادة المعز وناقش اليهودي وأخجله بما قدمه من الحجج الدامغـة المؤيدة لصحة دين النصرانية. فأعجب الملك ببلاغـة الأسقف الذي خرج هو والبطريرك من عنده مكرمين.

خرج الوزير وصديقه وقد عراهما الخزي وشملهما العار وملأ قلبيهما الغضب وصارا يتحينـان الفـرص للإيقاع بالبطريرك وبالنصارى.

وفي أحد الأيام خطر على بال الـوزير آيـة في الإنجيل وجدها خير فرصة للانتقـام مـن النـصارى فهرول إلى المعز وقال له : ليعلم مولاي أن النـصارى ليسوا على شيء. وهذا كتابهم يبين كذبهم فقد جاء به قول مسيحهم : **لو كان لكم إيمان مثل حبة خـردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنـا إلى هنـاك**

فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم (مت ١٧ : ٢٠) ولا يخفي على أمير المؤمنين ما في هذه الأقـوال من الادعاء الباطـل، ويتحقـق ذلـك باستحـضار بطريركهم وتكليفه إقامة الدليل على صدق دعـوى مسيحهم. فارتأى الخليفة في ذاته قائلاً : إذا كان قول مسيحهم هذا صحيحاً، فيبقى لنا فيه فائدة عظيمة فإن جبل المقطم المكتنف القاهرة إذا ابتعد عنها يصير مركز المدينة أعظم مما هو عليه الآن. وإذا لم يكن صحيحاً، فيبقى لنا الوجه في اضطهاد النصارى.

واستحضر المعز الأب البطريرك وقال له : مـاذا تقول في هذا الكلام. هل هـو في إنجـيلكم أم لا ؟ فأجابه نعم فيه. فقال له الملك : إذن أريد أن تحـضر واحداً منكم تظهر هذه الآية على يديه. وهـا أنـت مقدمهم يجب أن يكون على يديك هذا العمـل وإلا قتلتكم جميعاً بالسيف. وإذ فوجيء البطريـرك بهـذا الإنذار فقد طلب من المعز مهلة قائلاً : ليمهلني الملك

ثلاثة أيام أطلب فيها من الرب جل اسمه أن يطيب قلب أمير المؤمنين على عبيده، فأمهله.

خرج البطريرك من حضرة المعز مهموماً وجمع الأساقفة والكهنة والأراخنة وبعض الشعب الأرثوذكسي وعرض عليهم طلب المعز وهو يبكى، وكان بمصر جماعة من رهبان برية شيهيت فأخذهم والكهنة إلى كنيسة المعلقة، وهناك فرض عليهم أن يلازموا البيعة ثلاثة أيام صائمين مصلين ليل نهار لينظر الله إليهم بعين الرحمة وينقذهم من هذه التجربة المرة. فصدعوا لأمره ولازموا البيعة و لم يتناولوا من الطعام إلا خبزاً وملحاً وقليل ماء في مساء كل يوم. أما البطريرك فلبث هذه الثلاثة أيام طاوياً ملازماً الصلاة ببكاء ودموع حتى خارت قواه من الحزن والصوم والوقوف على قدميه كل هذه المدة وكان يصلى إلى الرب من صميم قلبه قائلاً : يارب لا تجعلنا هزأة

للأمم الخارجة، عز نفوسنا بتخليصنا من هذه التجربة. ولا تعاملنا بحسب خطايانا، وارفع عنا هذه المحنة الأليمة. خلص شعبك، بارك ميراثك، أنعم علينا برحمتك، تجاوز عن خطايانا، ولا تؤاخذنا بسوء أفعالنا، ولا تدخلنا في هذه التجارب الصعبة. امنحنا منك الرضا والرحمة، أنت العارف بأحوال عبيدك، وأن ليس لهم من يذكرهم عند الدولة بكلمة صالحة، ولا من يأخذ بيدهم ولا من ينصرهم، ولا من يعينهم إلا أنت يا يسوع المسيح. أدركنا بمعونتك لأنك قلت وقولك الحق (**لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم**) وها أن أعداءنا قد مسكونا بهذا القول، وقولك صادق. فافعل معنا مثل عادتك، وإن كنا غير مستحقين لكثرة خطايانا، ولكن حقق قولك هذا معنا ليعرف المضادون لنا أنك وحدك الإله القادر على كل شيء، وكل

الخليقة هي من صنع يديك، وأنك أنت الذي تمس الجبال فتدخن، فكن معنا وشد أزرنا، وهبنا من لدنك نعمة ورحمة. ليرتفع اسمك ويتمجد بين الملأ. بشفاعة سيدتنا العذراء القديسة مريم ولك السبح والوقار والسجود الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين.

ثم كان يجتمع بالكهنة والرهبان ويشترك معهم في تقديم الصلوات والابتهالات الحارة إلى الرب وفي آخر كل صلاة يرفع عينيه إلى العلاء ساكباً نفسه أمام خالقه ليجيزه من هذه التجربة واستمر على هذا الحال الثلاثة أيام بلياليها، وهو قائم أمام هيكل الله. ولما كان في الليلة الثالثة وقد أكثر من السؤال والتضرع وإجهاد ذاته وكد نفسه إلى وقت السحر، وعرف أن وقت المهلة قد أوشك على الانتهاء، وأنه بعد قليل سيكون بحضرة الملك. تأمل موقفه هذا، فبكى بكاءً مراً وصرخ من أعماق قلبه قائلاً : ليس لنا إلا أنت وحدك القادر أن تنقذنا من هذه الضيقة، فأمرنا بيدك، ثم غلبه

الضعف فخارت قواه. واسترخت قدماه فجلس وأخذته سنة من النوم فظهرت له السيدة العذراء مريم والدة الإله تحيطها هالة من النور الساطع اللامع وقالت له : ما الذي أصابك ؟ فأجابها : هلا علمتي يا سيدتي ما قاله الملك وما توعد أولادك به بأنه سيبيد جميع النصارى بالسيف إذا لم يتحقق له صدق قول سيدي يسوع المسيح. فقالت له لا تخف. قم الآن وانزل من ها هنا وأخرج من باب الحديد الذي يؤدى إلى السوق وسيقابلك إنسان على كتفه جرة ماء وهو فاقد بصر إحدى عينيه فأمسكه وستظهر هذه الآية على يديه.

فاستيقظ الآب البطريرك وهو مرعوب وكان الوقت سحراً وخرج ولم يُعلم أحداً بما رأى حتى وصل إلى الباب وكان مغلقاً فطلب من البواب فتحه. وسار البطريرك في طريقه حسب ما أرشدته السيدة العذراء حتى التقى بذلك الرجل فعرفه من الوصف الذي سمعه فتقدم منه وأمسك بيده وحكى له المسألة

من أولها إلى هذه الساعة ثم قال له: من قبل الرب ارحم هذا الشعب. فقال له الرجل : اغفر لي يا أبي فإني رجل خاطىء، و لم أبلغ بعد إلى هذا الحد. ولكن البطريرك لم يصغ إلى اعتذاره وأخذه إلى الكنيسة ثم سأله عن تاريخ حياته وألا يخفي عنه شيئاً، فقال له الرجل : أنا رجل دباغ، وكنت أشتغل قبلاً بترقيع الأحذية القديمة. وحدث وأنا جالس في أحد الأيام في عملي أن تقدمت مني امرأة تريد تصليح حذاء لها. واقتربت مني وكشفت عن ساقها ووقع بصري عليه وهو عار فتحركت في الشهوة الردية، فانزعجت وأسرعت إلى المخرز وبقرت به عيني مفضلاً أن أذهب إلى الملكوت بعين واحدة، من أن أمضى إلى العذاب الدائم ولى عينان. رأت المرأة ذلك ففرت من أمامي مذعورة. أما أنا فقد تركت مكاني وعملي واشتغلت أجيراً عند رجل دباغ. هذا والأجر الذي أتناوله أعيش منه على الخبز والماء فقط، والذي يتبقى أوزعه على

من كانوا في نعمة وأحنى عليهم الدهر، ويخجلون من مد يد السؤال، وهذه الجرة التي تراها، أملأها بالماء وأوزعه عليهم في كل سحر قبل ذهابي إلى محل عملي. وهذه سيرتي سردتها على مسامع سيدي البطريرك راجياً أن لا تعلم بها أحداً.

طمأنه الأب البطريرك على ذلك ثم طلب منه أن يكون معه حتى ينجى الله شعبه من هذه التجربة. فقال له: عند الصباح قم واخرج ومعك كهنتك وشعبك إلى الجبل الذي يقول لك عنه الملك، ومعكم الأناجيل والصلبان والمجامر والشموع. ويقف الملك وعسكره في جانب. وأنت وكهنتك وشعبك في جانب، وأنا من خلفك بحيث لا يعرفنى أحد. وتصلون كيرياليسون (يارب ارحم) ٤١ مرة ثم تأمرهم بالسكوت لحظة وجيزة. وبعدها تسجد ويسجدون معك وأنا أيضاً

ثلاث مرات، وفي كل سجدة تقف وتصلب على الجبل، فسترى مجد الله.

وطاب قلب البطريرك لهذا القول وجمع كهنته وشعبه وتوجه إلى الملك وأعلمه بعزمه على إجابة طلبه. فأمر الملك بضرب البوق لاجتماع عسكره وخرج الملك ومعه جيشه ووجوه دولته ووزيره وموسى اليهودي إلى الجبل. وفعل الأب البطريرك كما قال له ذلك القديس. فوقف الملك وأصحابه في جانب، وجميع النصارى والبطريرك في جانب آخر. ووقف الرجل خلف البطريرك ولم يكن في الجمع من يعرفه إلا الأب البطريرك وحده. وحينئذ صرخ البطريرك ومن معه كيرياليسون (يارب ارحم) ٤١ مرة، ثم أمرهم بالسكوت وسجد إلى الأرض فسجدوا معه ثلاث سجدات، وفي كل سجدة كانوا يقولون كيرياليسون، وكان عند ما يرفع الأب البطريرك رأسه ويصلب على الجبل أنه كان يرتفع عن الأرض، وكلما

سجدوا يترل إليها، وإذا ساروا سار أمامهم فوقع الرعب في قلب الخليفة ومن معه، وسقط كثيرون منهم إلى الأرض، وكانوا يصيحون : الله أكبر لا إله غيرك. وتقدم المعز من البطريرك وقال له حسبك يا بطرك. لقد تحققت أنك ولى، لقد عرفت صحة إيمانك.

وسأل البطريرك عن مطلوبه وما يتمناه. فأجابه الأب البطريرك : ليس لي ما أطلبه ولا أتمناه إلا الطلب من الله أن يثبت دولتك، ويعطيك النصر على أعدائك. ولما كرر عليه السؤال. قال : إذا كان لابد فإني أطلب من مولانا أن يأمر ببناء بيعة أبو مرقورة التي بمصر لأنها من يوم هدمها لم نتمكن من بنائها. وجُعلت شونة للقصب كما هدم من حيطان المعلقة مقدار كبير. فأمر للحال أن يكتب مرسوم بتمكينه من ذلك. وأن يعطى من بيت المال ما يصرفه على العمارة فأخذ المرسوم وأعاد المال.

ولما قُرىء المرسوم عند بيعة أبو مرقورة اجتمع الباعة الذين هناك والغوغاء وقالوا : لو قُتلنا جميعاً ما نمكن أحداً من أن يجعل حجراً على حجر في هذه البيعة. فعاد البطريرك إلى الملك وأعلمه بذلك فغضب وأتى مع عسكره إلى المكان، وأمر بحفر الأساس فحفر، وعندما شرعوا في البناء تقدم أحد الغوغاء وطرح نفسه في الأساس قائلاً : أموت ولا أدع أحداً يبنى هذه البيعة. فأمر الملك أن ترمى عليه الحجارة ويبنى فوقه. فتشفع له الأب البطريرك وخرج يعدو هارباً. وعاد الملك إلى قصره ومن بعدها لم يجسر أحد أن يتعرض للبناء حتى أُكملت البيعتان وكذا جميع البيع التي تحتاج إلى عمارة. كما رمم من بيع الإسكندرية ما يحتاج إلى ترميم.

رسم الأنبا أبرآم بطريركاً في شهر بؤونة سنة ٦٨٧ش (٩٦٨م) وقبل هذه المدة بقليل أي في أيام

سلفه كان بمصر رجل تقي يدعى أبو اليمن قزمان بن مينا. وكان رجل دين بتول كثير فعل الخير مع الناس على اختلاف أديانهم. وقد نال حظوة عظيمة لدى الملك المعز. وكان كثيراً ما يستشيره في مهام الدولة ويعمل بمشورته. ونظراً لما رآه فيه من طهارة الذمة والأمانة فقد قلده جباية خراج مصر. ولم يزل هكذا حتى صار الأنبا أبرآم بطريركاً. ورأى يعقوب بن كلس تقرب قزمان من الملك فحسده على ذلك وخاف أن يجعله عوضه فدبر حيلة يبعده بها عن مصر كلية حتى يخلو له الجو فأشار على الملك بقوله إن قزمان بن مينا خير من يصلح لأن توفده إلى أعمال فلسطين ليدبرها، لأنه رجل مأمون. فسمع الملك لقوله، وأرسل قزمان إلى هناك. فلما وصل إليها استخرج منها ومن أعمالها مائتي ألف دينار.

وحدث أن ثار أبو منصور افتكين التركي وملك بلاد الشام حتى وصل إلى أعمال فلسطين. وخاف

قزمان على ما معه من المال فأودعه عند رئيس دير فوق جبل تابور. وطلب افتكين المال الذي عند قزمان فأعلمه بأنه لا يملك شيئاً فاعتقله. فظن بعض المتولين أمور الشام أن قزمان قد انضم إلى افتكين وكتبوا إلى المعز بذلك. ففرح الوزير يعقوب بهذه الفرصة وصار يقدح في قزمان. فغضب الملك وقبض على جميع أهله.

وبعد أيام اندحر افتكين وفر هارباً. وأرسل قزمان إلى المعز يعلمه بذلك وبعدم ضياع المال. فاستدعاه فحضر ومعه المال فخلع عليه الخلع الجزيلة وأكرمه بعد أن أفرج عن أهله ورد إليهم مالهم. وعرف المعز أن الوزير يعقوب يتحين الفرص للإيقاع بقزمان حسداً منه وغيرة. فغضب عليه وقتله.

وقبل قيام قزمان إلى فلسطين قدم إلى الأب البطريرك الأنبا أبرآم مبلغ ٩٠ ألف دينار كانت

مدخرة عنده وأوصاه بتوزيعها على الفقراء والمساكين والكنائس والأديرة إن مات هناك.

وبلغ الأب البطريرك خبر استيلاء افتكين على بلاد الشام وفلسطين وانقطعت أخبار قزمان. فظن أنه قد مات ووزع الوديعة حسب الوصية ولكن قزمان كان قد نجا من الموت وعاد إلى مصر. فأخبره الأب البطريرك بما فعله بوديعته مُظهراً أسفه. فقال له قزمان لقد صنعت معي جميلاً ورحمة وشكره على صنيعه هذا.

وكانت مدة إقامة الأنبا أبرآم على الكرسي المرقسي ثلاث سنين ونصفاً ثم تنيح بسلام.

مختصر سيرة الأنبا أبرآم بن زرعة السريانى

القديس أنبا أبرآم بابا الإسكندرية الثاني والستون وهو ابن زرعة السريانى أي من بلاد سوريا ببلاد الشام، وكان تاجراً ثرياً وكان يتردد على مصر للتجارة وأخيراً أقام فيها.

وكان يتحلى بفضائل كثيرة، منها الرحمة على ذوى الحاجة، وشاع ذكره بالصلاح والعلم، وعندما خلا الكرسي البطريرك أجمع رأى الأساقفة والشيوخ والعلماء على اختياره بطريركاً. فلما جلس على كرسي الكرازة المرقسية وزع كل ماله على الفقراء والمساكين.

ومن مآثره أنه أبطل العادات الرديئة، ومنع وحرم كل من يأخذ رشوة من أحد لينال درجة بالكنيسة. كما حرم على الشعب اتخاذ السراري وشدد في ذلك كثيراً. فلما علم بذلك الذين اتخذوا لأنفسهم سراري

استيقظ فيهم خوف الله، كما خافوا أيضاً من حرمه، فأطلقوا سراريهم وذهبوا إليه تائبين. وفي أيامه حدثت معجزة نقل جبل المقطم.

وجدد هذا البابا العظيم كنائس كثيرة في أنحاء الكرسي المرقسي، ولما أكمل سعيه تنيح بسلام بعد أن جلس على الكرسي ثلاث سنين وستة أيام في ٦ كيهك سنة ٦٨٧ ش الموافقة لسنة ٩٧٠ م.

بركة صلاته فلتكن معنا آمين

مختصر سيرة القديس سمعان الخراز(٤)

ظهر هذا القديس فجأة على مسرح التاريخ كنجم لامع، واختفي أيضاً بنفس الطريقة. لم يذكر التاريخ عن نشأته الأولى شيئاً على الإطلاق، فلا نعرف متى وُلد ؟ وأين تربى ؟ ومن هو أبوه ؟

ولولا أن الرب أظهره لإتمام هذه المعجزة وهذه الرسالة، لما سمعنا عنه شيئاً. وهذا يدل على أنه يوجد قديسون كثيرون للرب لا يعرفهم العالم، وإنما هم مختفون عن الأنظار. ألم يحدث مثل هذا في زمن إيليا النبي ؟! ألم يقل هذا النبي للرب (بقيت أنا وحدي) (١ مل ١٩: ١٠) ؟ فماذا قال له الرب ؟ ألم يقل له: (قد أبقيت في إسرائيل سبعة آلاف، كل الركب

(٤) مأخوذة باختصار من كتاب سيرة القديس سمعان الخراز التي نشرتها كنيسة القديس سمعان الدباغ بجبل المقطم.

التي لم تجث لبعل، وكل فم لم يقبله) ١مل ١٩ : ١٨.

يا للعجب !! سبعة آلاف شخصاً موجود للرب، وإيليا نفسه لا يدرى عنهم شيئاً...

فالقديس سمعان الخراز، كان واحداً من القديسين المختفين عن الأنظار. وإن كنا لا نعرف شيئاً عن مولده، ولكن التاريخ يؤكد أنه كان موجوداً في بابليون (مصر القديمة) في زمان البطريرك الأنبا أبرآم السرياني (٩٧٥ - ٩٧٩ م)، وفي عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي أول حكام الدولة الفاطمية في مصر.

وقد اشتغل القديس سمعان الخراز بحرفة من الحرف التي كانت شائعة في مصر القديمة وهى الدباغة (دباغة الجلود)، ولازالت مصر القديمة تشتهر بهذه الصناعة إلى يومنا هذا.

وعلى أغلب الظن أن هذه الحرفة قديماً لم تكن تقتصر على مجرد دبغ الجلود، وإنما كانت تشتمل على

الصناعات التي تترتب عليها، مثل صناعة الأحذية وخلافه.

لذلك كان قديسنا يُلقب بعدة ألقاب مرتبطة بالجلود منها : **سمعان الدباغ** أو **سمعان الخراز.**

ولقد كانت هذه المهنة أيضاً هي حرفة القديس إنيانوس (حنانيا) أول بطاركة الكنيسة القبطية بعد مارمرقس الرسول الذي عندما تقطع حذاؤه وهو يطوف بمدينة الإسكندرية، توجه إلى هذا الإسكافي ليصلحه، وعندما دخل المخراز في يده صرخ **ϵιc θϵoc** (إيس ثيئوس) أي يا الله الواحد فبشره مارمرقس وآمن بالمسيح ورسمه أسقفاً ليقود الكنيسة من بعده.

وعندما كان القديس سمعان الخراز يقوم بعمله كإسكافي أتت إليه امرأة لتصلح حذاءها وكانت هذه المرأة جميلة الصورة، فبينما هي تخلع حذاءها انكشفت ساقاها فنظرت عيناه إليها بشهوة. وفي الحال ضرب

المخراز في إحدى عينيه فأفرغها تنفيذاً لوصية الرب **إن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم** (مت ٥: ٢٨، ٢٩).

نعم ما أجمل تاريخ الكنيسة في سرده لقصص الآباء القديسين إنه نفس النهج الذي ينهجه الكتاب المقدس في سرده لحياتهم.. فقبل القوة يذكر ضعف البشر ثم تأتى قوة المسيح في هذا الضعف فيتحول إلى قوة فيخرج من الموت حياة ومن الجافي عسلاً مشبعاً.

ألم يذكر الكتاب خطية الكذب في حياة أبو الإيمان إبراهيم (تك ١٢: ١٣). وخطية الزنا في حياة داود النبي (٢صم ١١)، بل ومعلمنا بولس الرسول نفسه أعلن ذلك بكل وضوح إذ قال : أنا الذي كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً، ولكني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان (١تى ١ : ١٣).

لقد نفذ الوصية حرفياً ببساطة. وقد قام العلامة أوريجانوس من قبل بعمل مماثل، عندما خصى نفسه تنفيذاً لقول الكتاب المقدس **يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت الله** (مت ١٩: ١٢)، وهكذا تصرف كل واحد منهم بإخلاص كامل في تنفيذ الوصية حرفياً، فالكنيسة لا تسمح بهذا ولا تعلم به.. إنما هو تصرف بحرفية وبساطة فسامحته الكنيسة، ولكن لما خصى أوريجانوس نفسه وهو عالم كبير حرمته الكنيسة. فالرب لم يقصد التنفيذ الحرفي بل كان يشير إلى إماتة حواس الجسد، كما تعلمنا الكنيسة أن نصلى قائلين **أمت حواسنا الجسمانية أيها المسيح إلهنا** وهذا هو ما كان بقصده معلمنا الرسول بولس في قوله **احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية** (رو ٦ : ١١).

على أن تصرف القديس سمعان الخراز بطريقة حرفية لا يُنقص من قداسته، بل على العكس فإنه

يبرهن على مدى بساطته وإخلاصه وأمانته في تنفيذ الوصية ومدى طهارته ونقاوة قلبه ورفضه للخطية بكل صورها.

لقد كان القديس سمعان الخراز زاهداً متقشفاً، ظهر هذا من ثنايا حديثه مع الأب البطريرك الأنبا أبرآم حينما سأله عن حياته، عندما أرشدته السيدة العذراء إليه.

ففي حديثه المقتضب المتواضع قال : إني آكل القليل لأسد به رمقي. وهكذا نرى كم كان هذا القديس زاهداً في الحياة، متقشفاً في مأكله، فهو لا يأكل إلا القليل ليسد به رمقه.

إن التحكم في شهوة البطن بالزهد في الطعام هو سمة من سمات الحياة النسكية وعلامة من علامات القداسة العملية. لذلك نسمع عن القديس الأنبا بولا السائح أن طعامه اليومي كان مجرد نصف خبزة يحملها إليه غراب، وتقول القديسة سارة : **إن فماً تمنع عنه**

الماء لا يطلب خمراً، وبطناً تمنع عنها الخبز لا تطلب لحماً.

ومن مظاهر زهد هذا القديس أيضاً هو تقشفه من ناحية الملبس، ففي يوم المعجزة ذهب إلى الجبل مع الأب البطريرك والأساقفة والكهنة وجمهور الشعب وكبار العلمانيين بملابسه الرثة (أي بثيابه العادية التي كان يذهب بها إلى المدبغة).

ولا نقصد أن عدم النظافة علامة للقداسة، بل نقول أن عدم التبرج ولبس الثياب الفاخرة الكثيرة الثمن (١تى ٢: ٩) سمة من سمات أولاد الله.

فإن القديس سمعان الخراز كان على مستوى الحياة النسكية متقشفاً في مأكله وملبسه مثل كثير من آبائنا القديسين مثل الأنبا بولا والأنبا رويس والأنبا برسوم العريان وكثيرين..

أليس هذا ما يرينا مظهراً آخر من مظاهر القوة، تلك هي قوة روح الله القدوس التي تختلف عن قوة

الجسد والمظهر... ألا يذكرنا ذلك بالقديس يوحنا المعمدان الذي كان لباسه وبر الإبل وطعامه عسلاً وجراداً برياً.. وبرغم ذلك يقول الكتاب المقدس : **لأن هيرودس كان يهاب يوحنا عالماً أنه رجل بار وقديس وكان يحفظه، وإذ سمعه فعل كثيراً وسمعه بسرور** (مرقس ٦ : ٢٠). كذلك كان قديسنا سمعان الدباغ لا ينظر إلى الأمور التي تُرى بل إلى الأمور التي لا تُرى، لأن التي تُرى وقتية وأما التي لا تُرى فأبدية (٢كو ٤: ١٨).

إن سر البركة في حياة القديس سمعان الخراز كان يكمن في أنه رجل صلاة عجيب فقد أوضح في حديثه السري مع الأب البطريرك أنه كان يقضى أوقاتاً طويلة في الصلاة إذ قال : وعد غروب الشمس أخرج مع بقية الأجراء وأكل القليل لأسد رمقي ثم أنصرف إلى الصلاة وأقضى ليلي قائماً في الصلاة.

من الأسرار التي ذكرها القديس سمعان الخراز في لقائه مع الأب البطريرك الأنبا أبرآم أنه كان يقوم بخدمة الشيوخ والمرضى ويوصل لهم الماء كل يوم إذ قال : أقوم في مثل هذه الساعة المبكرة من كل صباح لأملأ قربتي ماء وأوزعها على الكهول (الشيوخ) والمرضى الذين أقعدتهم الشيخوخة أو المرض عن القدرة على استجلاب الماء لأنفسهم. ولما أنتهي من خدمتي هذه أعيد قربتي إلى البيت وأذهب إلى عملي.

هذه الخدمة التي كان يقوم بها القديس سمعان الخراز هي من الخدمات التي تُعتبر في نظر الناس خدمة صغيرة حقيرة ولكنها في الواقع من الخدمات الجليلة التي خصها الرب بقوله : **ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم أنه لا يضيع أجره** (مت ١٠ : ٤٢).

لقد كان القديس سمعان متواضعاً للغاية ونستطيع أن نرى ملامح تواضعه من الأحداث التالية :

✥ عندما كشفت السيدة العذراء سر قداسته للأب البطريرك، وخرج كما قالت له ليمسكه كي يُجرى المعجزة قال سمعان الخراز له : اغفر لي يا أبي فإني رجل خاطىء. يا لها من عبارة عميقة تدل على مدى اتضاعه.. إنها لغة القديسين **اغفر لي، فإني رجل خاطىء** ألا يذكرنا هذا بقول معلمنا بطرس الرسول للرب يسوع أخرج من سفينتي يارب لأني رجل خاطىء (لو ٥: ٨)، وقول معلمنا بولس الرسول : الخطاة الذين أولهم أنا (١تى ١ : ١٥).

✥ عندما طلب منه الأب البطريرك أن يذكر له شيئاً عن حياته اضطر أن يحكى له قصته ولكنه في الختام رجاه أن يكتم أمره طالما هو حي على هذه الأرض وقال له : أسألك يا

أبى أن لا تُظهرني لأحد فليس لي قـــدرة أن أحتمل مجد الناس.

إن هذا القديس كما قلنا سابقاً، كان كـــالنجم اللامع الذي أبرق فجأة واختفي من الوجـــود أيـــضاً فجأة إذ يسجل التاريخ نهايته قـــائلاً : (كـــان مـــن الطبيعي أن تُحدث هذه المعجزة شيئاً من الاضـــطراب في صفوف من شاهدوها جميعاً ولما هدأت نفوســـهم واستعادوا طمأنينتهم بدأوا ينزلون من الجبل ليعـــودوا إلى منازلهم التفت غبطة البطريرك يميناً ويساراً باحثـــاً عن سمعان الخراز ولكنه لم يجده و لم يعثر أحد عليه بعد ذلك. فقد اختفي عن الأنظار وظل يمارس حياتـــه في هدوء حتى تنيح بسلام ودفن في منطقة تسمى مـــدافن الحبش بمصر القديمة وهى الموجودة فيها الآن كنـــائس العذراء بابلون الدرج وأباكير ويوحنا والأمير تـــادرس بمصر القديمة. وقد عُثر على جسده أخيراً في كنيـــسة العذراء بابلون الدرج أثناء الترميمات.

بركة صلاته فلتكن معنا آمين